السرد وسيميائية الفضاء الفايسبوكي في رو اية "عشيقة آدم " لمنصف الوهايبي

Narration and the semiotics of Facebook space in the novel "Adam'sMistress" by Moncef Al-Wahabi

شريفة نجيمي [1،*]

[1] جامعة الجلفة ، (الجزائر)، cherifa.nedjimi@univ-djelfa.dz

مخبر استراتيجيات الوقاية ومكافحة المخدرات في الجزائر

تاريخ الإيداع: 2021/09/01 **تاريخ المراجعة**:2022/03/02 **تاريخ النشر**: 2022/06/15

ملخص:

من خلال هذا المقال أحاول الوقوف على تجربة روائية مميزة اتخذت من الفضاء الفايسبوكي منبعا لها و مؤطرا لآلياتها السردية،لتكون بذلك وجها من وجوه استفادة النص السردي الورقي من الإعلام الرقمي الجديد المتمثل في "الفايسبوك"،هذه التجربة للشاعر والكاتب التونسي "منصف الوهايبي"وهي روايته "عشيقة آدم"،والتي كتبها سنة 2013 محاولا توظيف ما يتيحه وسيط الفايسبوك من إمكانيات "الدردشة"و"التحاور" في نصه،فانبنت هذه الروايةعلى حوار فايسبوكي خالص ممتد من بدايتها حتى نهايتها،مقوضا بذلك الشكل الروائي المألوف، فما تمثلات الفضاء الفايسبوكي من خلال عتباتها الأولى "العنوان " "الغلاف"؟ و ما الأبعاد الجمالية و الإبداعية التي تتأطر بها ضمن توجهها التجريبي ؟

الكلمات المفتاحية:تجربة روائية ، الفضاء الفايسبوكي ، العنوان ، الغلاف.

Abstract:

Through this article, I try to identify a distinguished narrative experience that took the Facebook space as its source and framed its narrative mechanisms, to be one of the aspects of the paper narrative text benefiting from the new digital media represented by "Facebook", this experience of the Tunisian poet and writer "Moncef Wahaibi", which is His novel "Adam's Mistress", which he wrote in 2013, trying to make use of the possibilities of "chat" and "dialogue" offered by the Facebook mediator in his text. Through its first thresholds, "the title", "the cover", and what are the aesthetic and creative dimensions that it frames within its experimental orientation?

Key words: *Narrative experience, Facebook space, title, covers.*

*المؤلف المراسل.

توطئة:

إذا كانت الرواية هي الشكل الأدبي الوحيد الذي يأبى الاكتمال على حد رأي ميخائيل باختين، إذ يقول أنها: " النوع الأدبي الوحيد الذي لايزال في طور التكوين، والنوع الوحيد الذي لم يكتمل بعد "1،فإن لها من الطواعية ما يجعلها ميدانا خصبا للتجريب، ومجالا منفتحا على التحول و التحور شكلا و مضمونا ... لتطالعنا مؤخرا بأشكال مستجدة لاسيما مع موجة التحولات العميقة المصاحبة لثورة التكنولوجيا و الإعلام الجديد، هذه التحولات امتدت لتطال مختلف أشكال الإبداع، استوقفتني تجربة إبداعية مختلفة لكاتب تونسي، حاول من خلالها مجاراة الراهن و مواكبة التطورات من خلال خوضه مغامرة التجريب التي قفز بها على أسوار قوالب الرواية المعهودة، و انتحى لنفسه منحى مغايرا؛ لتمتد روايته وفق حوار فايسبوكي ورسائل إلكترونية مسترسلة،شكلت سردية هذه الرواية،فكانت وجها مختلفا من وجوه استفادة النص السردي المكتوب من إمكانيات التواصل الفايسبوكي وما يتيحه من خصائص "الدردشة"و "التحاور"ليبدع نصا سرديا مختلفا ومستجدا لم يسبقه أحد من كتاب القصة أو الرواية إليه حسب رأيه.

إنه المبدع "منصف الوهايبي " الذي لهج بالشعر عقودا قبل أن يلج عالم الرواية؛لتكون تجربته الروائية مختلفة تماما، إذبها شق لنفسه طريقا جديدا مؤسسا به تصورا يحاكي الواقع و يستلهم مستجداته...

أمام هذا العمل الإبداعي تتجاذبنا أسئلة ملحة تطوق فضولنا، و تتأسس على خلفية مجال بحثنا - النقد الثقافي - الذي يتخذ من الإبداع حادثة أو واقعة ثقافية تتوارى خلف كل ما هو جمالي ...فما مظاهر التجريب في هذه الرواية على المستوى الشكلي؟ وما المضمرات النسقية الثقافية التي تقبع خلف عتباتها الأولى " العنوان " و الغلاف؟ وللإجابة عن هذه الإشكاليات،سأحاول الوقوف على هذه الرواية، وأضبط إطار دراستي لها بتوسلي في ذلك أدوات تحليل حديثة تتلاءم مع الطرح المنهجي لتوجهنا في النقد الثقافي.

منصف الوهايبي و مغامرة التجريب في روايته "عشيقة آدم":

إذا كان منطلق التجريب سابقاهو المغامرة الفنية والانفتاح على فضاءات مستجدة في الإبداع،والتأسيس لأشكال مغايرة في الكتابة فإنه اليوم أصبح مذهب كل مبدع يسعى إلى التميز و التفرد. هاهنا تطالعنا تجربة متميزة لمبدع تونسي، كان بالأساس شاعرا متمرسا، إلا أنه خاض تجربة الكتابة الروائية مقتحما عالم التجريب، إذ بنى روايته على حوار فايسبوكي يجمع بين شخصين في عالم افتراضي يحاول على مداه كل شخص معرفة الآخروكشف هويته الحقيقية، هذا الحوار يرتكز عليه السرد في هذه الرواية التي كان تشكيلها اللغوي يشي بمرجعية كاتبها الشعرية ...

فالتجريب إذاً-على حدّ رأي " صلاح فضل "- قرين الإبداع؛ لأنه يتمثل في ابتكار طرائق وأساليب جديدة في أنماط التعبير الفني المختلفة، فهو جوهر الإبداع،وحقيقته عندما يتجاوز المألوف و يغامر في قلب المستقبل مما يتطلب الشجاعة

و المغامرة "2 ، وهذا ما انتهجه " منصف الوهايبي " في روايته هذه، إذ أنه تجاوز المألوف من خلالها، وسعى لمسايرة التغيرات، و حاول التأسيس لشكل سردي جديد. و هذا ما جعلنا نصنف روايته بالتجريبية، فقد انطبقت عليها معايير هذا التجريب الذي أضفى عليها طابع الحرية شكلا ومضمونا؛ لتتّسم بالحرية على حد رأي محمد الباردي، الذي أكّد أن الرواية التي تتصف بالتجريبية هي" رواية الحرية، إذ تؤسس قوانينها الذاتية و تنظر لسلطة الخيال، وتتبنى قانون التجاوز المستمر،ولهذا فهي ترفض أي سلطة خارج النص و تخون أية تجربة خارج التجربة الذاتية المحضة، فلكل وقائع مختلفة أشكال من النص مختلفة "3، و هذا ما تجسد في رواية " منصف الوهايبي "الذي انطلق من حيثيات الحياة

اليومية و المحادثات التي تنشأ عبر الفايسبوك، و بعث منها و قائع، وأنشأ لها شكلا مستجدا في السرد فـ" كل رواية جديدة تسعى إلى أن تؤسس قوانين اشتغالها في الوقت الذي تبيح فيه هدمها "4 فهذه الرواية تحققت فيها آليتا الهدم و البناء،فقد حاول كاتبها هدم و تقويض الشكل المعتاد (الكلاسيكي) للرواية، و بناء شكل جديد يقوم على حوار فايسبوكي ممتد؛ لتمثل نموذجا مستجدا يعكس التحولات الكبيرة التي يشهدها عصرنا بفعل اجتياح وسائل الإعلام والتواصل الرقمية و تحديدا " الفايسبوك " حياة المجتمع و تماهيها معه. هذه الوسائل قد غيرت مختلف المنجزات الابداعية وألبستها حلة التكنولوجيا،وغيرت حتى طقوس حياة مبدعيها،إذ يقول منصف عن تجربته هذه:«وكنت حتى عام2005 أحب الجلوس في مقهى قريب منبيتي،أتخير ركنا،صار يعرف بي،لأقرأ وأكتب من السابعة إلى ما بعد منتصف النهار،أما في السنوات الأخيرة،فقد غيرت ما بي وبدأت أستخدم الكمبيوتر أكثر فأكثر،وقد أنجزت محاولة روائية فايسبوكية"عشيقة آدم" فازت بجائزة لم أتوقعها«الكومار الذهبي» وهي أشهر جائزة تمنح للرواية في تونس،وأظن أن مؤسس موقع التواصل الاجتماعي «فيسبوك» مارك زوكربرغ خلق عالما جديدا لتبادل المعلومات،هو عالم افتراضي لكنه حقيقي وواقعي،ولقد غيّر حياتنا كلها،فنحن كائنات فايسبوكية...»5 لا يمكننا التواجد إلا ضمن هذا العالم والحياة وفق منطقه الافتراضي إذا شئنا مسايرة عصرنا.

عتبات رواية " عشيقة آدم " وقفة و مساءلة:

أولا: العنوان :

هو العتبة النصية الأولى التي تواجه القارئ بما تثير فيه من دافعة لقراءة المتن، و فك شفراته، و محاولة الإجابة عما يحف صيغته من تساؤلات. والعنوان يمثل هواية الإبداعي و عتبة الولوج إليه. " فهو من منظور بعض محللي الخطاب نقطة انطلاق كل تأويل للنص"6

فعنوان الرواية " عشيقة آدم " يثير لديّ مجموعة من التساؤلات : ماذا أراد المؤلف من صيغة هذا العنوان؟ فكل مجريات أحداث هذه القصة تمت عبر الفايسبوك،ولم يلتق البطلان إلا عبر الفضاء الافتراضي؟كيف يطلق لفظ " عشيقة " على فتاة كانت كل العلاقة بها افتراضيا ونعلم أن لفظ " العشيقة " يطلق على العلاقة الفعلية بين رجل و امرأة؟ ماذا أراد المؤلف أن يقول من خلال هذا العنوان في سياق هذه الرواية ... و إن كنا نلاحظ أن العنوان في مختلف الأعمال الإبداعية المعاصرة - لاسيما التجريبية - قد أصبح مثارا للشك و الغموض للمتلقي أكثر منه دلالة على النص و إحالة عليه؟ و هذا ما يجعلنا ننطلق من مرجعيات قرائية عديدة لتحري الدلالات الرمزية المناسبة لسياق هذا العنوان .

ف " العنوان عبارة عن علامة سيميوطيقية، تقوم بوظيفة الاحتواء لمدلول النص، فالنص يحيل إلى نص خارجي يتناسل مع النص الأساس فيتلاقحان شكلا و فكرا "7 و هذا ما أحالتنا إليه القراءة الأولية العنوان " عشيقة آدم " فالعشيقة هي المرأة التي لها علاقة غير شرعية مع رجل دون أن يتزوجها، و آدم : تحيل إلى الرجل بصفة عامة دون تعيين، فكأنه يشير إلى " عشيقة رجل ما ".وبالوقوف على العنوان ومحاولة مساءلته تتنامى لنا مجموعة من الدلالات،فعلى حد رأي محمد مفتاح حين قال " العنوان يمدنا بزاد ثمين بتفكيك النص و دراسته فهو المحور الذي يتوالد و يتنامى و يعيد إنتاج نفسه فهو إن صحت المشابهة بمثابة الرأس للجسد "8 ، ولتحديد الدلالات المتنامية لهذا العنوان لابد من الوقوف عليه وفق ثلاثة مستويات:

مستوى البنية المعجمية

مستوى البنية التركيبية

مستوى البنية الدلالية

فمستوى البنية المعجمية:تتمثل في الوقوف على ألفاظ العنوان

لغة : فالعنوان مكون من لفظي " عشيقة " و " آدم"

العشيقة في اللغة العربية مشتقة من العشق والعشق،ففي لسان العرب :

هو: فرط الحُب، و قيل هو عُجب المُحب بالمحبوب و عشيق: كثير العشق...وسئل أبو العباس أحمد بن يحي عن الحب و العشق : أيهما أحمد : فقال الحب لأن العشق فيه إفراط، وسمّي العاشق عاشقا لأنه يذبل من شدة الهوى كما تذبل العشقة... و العشقة شجرة تخضر ثم تدق وتصفر ... وزعم أن اشتقاق العاشق منه9

و من خلال هذا فكلمة " العشيقة " تحيل إلى امرأة لها علاقة برجل على أساس التعلق الشديد و الإفراط في الحب ، كما يمكن الإشارة إلى أن لفظة " عشيقة " تستخدم للدلالة على علاقة رجل متزوج مع امرأة أخرى، أما إذا كان غير متزوج فتستعمل مصطلحات أخرى " كصديقة و" " حبيبة"...

أما اللفظة الثانية " آدم " تعني أبو البشر عليه السلام.

وقد ورد في معجم المعاني الجامع أن: آدم هو أبو البشر، خلقة الله من طين و أمر الملائكة أن تسجد فسجدوا إلا إبليس10.

و قد سمي آدم لأن الله تعالى خلقه من أديم الأرض.قال تعالى ((إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين۞فإذا سوّيته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين))(سورة ص الآية 71-72)إذًا لفظ آدم هو أبو البشر، إلا أنه قد يخرج هذا اللفظ إلى الدلالة على الرجال بصفة عامة فنقول معنى " عشيقة آدم " لغويا هي المرأة التي لها علاقة برجل ما .

مستوى البنية التركيبية :

يتكون ملفوظ العنوان من المركب " عشيقة آدم " و هما معا يكوّنان جملة اسمية (تركيب إضافة)، وكما هو معروف

" فالجملة الاسمية هي جملة خاملة بعكس الجملة الفعلية لخلوها من الحدث الذي يشحن المعنى بالطاقة و الحركة"11.

ومنه فهذا العنوان باعتباره جملة اسمية " عشيقة آدم " يحيلنا إلى تصور أن الرواية تتضمن توصيفا لقصة هذه العشيقة التي لم يُعين عشيقها برجل محدد، وإنما كان استخدام لفظ "آدم" للدلالة على رجل ما دون تحديد هويته.

3-البنية الدلالية:

تحيل البنية الدلالية لملفوظ العنوان " عشيقة آدم " إلى مضمون النص، إذ ترتبط ارتباطا وثيقا بحيثيات أحداث النص، الذي يبنى على أطوار قصة حب فايسبوكية بين " سي الحبيب " و " إلهام " إذ تعرّف البطلان عبر الفضاء الافتراضي " الفايسبوك "،لتتابع قصتها عبر الرواية خلال سرد فايسبوكي خالص يمثل حواراتهما معا، إلا أن هويتهما قد تبدو على جانب كبير من الغموض، بل هي هوية ممعنة في التخفي وراء أسماء مستعارة، مما يثير الكثير من الدلالات التي يعج النص بها، ذلك أن مؤلفها أمعن في كشف مختلف الحقائق معتمدا التستر و التخفي و الغموض، لاسيما في اعتماد الأسماء المستعارة، و استعمال اللغة الحافلة بالإيحاءات و الدلالات

الرمزية، إذ يصرح أحيانا بتعمده التخفي و عدم إفشاء هويته الحقيقية، يقول : ((ودّعت إلهام لأعود حالا إلى نصي المنشور بالفايسبوك عن القيروان،خشية أن أكون وقعته باسمي الحقيقي، وحمدت الله أني أثبته في بروفايلي باسم "سي الحبيب"12

فهذا الإمعان في الغموض وإخفاء الهوية عبر هذه الرواية، ومن خلال فضائها الفايسبوكي، يحمل دلالات عميقة على مستوى الوسيط " الفايسبوك "، وعلى مستوى الأشخاص الذين ظهروا ضمن الرواية؛ لنؤكد أن " الفايسبوك قد انحرف عن مسار وظيفته التواصلية الاجتماعية صوب وظيفة كتابة الذات وتعريتها أمام الآخر داخل حلبة افتراضية وسيعة يحكمها قانون الخداع العام "13 ،

فهذه الرواية إذا كانت تجربة مستجدة انبعثت من فضاء التواصل الاجتماعي وبالرغم من إيغالها في الغموض إلا أنها كشفت العديد من الأنساق الثقافية التي تخفّت وراء جمالية هذه الرواية وإبداعية مؤلفها في صياغتها وفق هذا القالب الفايسبوكي المستجد .

لعل أولاها :

أن الفايسبوك خلال هذه الرواية قد انزاحت وظيفته التواصلية الاجتماعية إلى الانخراط في وظيفة الكتابة و الإبداع، واقتحام النص السردي الورقي...

ثانيها :

أن هذه الكتابة تكشف وتمعن في تعرية الذات. وفي هذا السياق يؤكد الدكتور عبد الدايم السلامي أن استخدام هذه الوسائط على رأسها الفايسبوك " قد طرحت على الباحثين سؤالا حول إمكانية تحولها إلى فخاخ يقع فيها مستخدموها وتخفي عنهم مشكلا ثقافيا صورته الكبرى هي تنامي ظاهرة تعرية الذات بكل أسرارها ونواياها بل والتلاعب بها "14

ثالثها:

تزييف الحقائق والاختباء وراء هوايات وهمية، ذلك أن الفايسبوك يمنح الفرصة لبناء شخصيات افتراضية على مقاس كل فرد، وإضفاء ما يرغب أن يكون عليه، " فالفايسبوك ... صار فضاء حقيقيا تسكنه ذوات افتراضية، صار فضاء حقيقيا للمسخ"15 تتجاور فيه الحقيقة بالخيال وتجتمع فيه المتناقضات و تلفه المراوغات لنتساءل:أهو هروب من الواقع أم بحث عن واقع ؟!، إنه بالفعل فضاء "يتواجه فيه الخيالي مع الواقعي ويتقاطعان ناسجين معا رواية هذا الإنسان التائه في تفاصيله والمقذوف خارج حقيقته..."16، لتكون هذه الرواية بمثابة كتابة هذه الذات، تحيلنا عبرها إلى" الوقوف على ما ينجر من استخدام هذه الوسائط من محكيات محيلة إلى أعطاب نفسية واجتماعية وثقافية، لم تنتبه الرواية العربية لحسن استثمارها أو هي انتبهت لها وعجزت عن توظيفها فنيا"17.لتكشف هذه الرواية مخبوءات اجتماعية وثقافية ونفسية لإنسان هذا العصر الذي تتحكم فيه سلطة التكنولوجيا ويحتكم إلى منطقها الرقمي...

ويشير عبد الدايم السلامي في كتابه النص المعنف أن الهوية على الفيسبوك صارت أكثر حقيقية من وجودنا الواقعي،فقدصار فضاء حقيقيا تسكنه ذوات افتراضية،و يقر أن الفيسبوك قد نجح نجاحين:أولا في

إقناعنا بأحقيته في الحضور في حياتنا ليصير حقيقة ماثلة،وثانيا في محو وجود حقيقتنا فصرنا فيه افتراضيين،"إنه قد حولنا الى كائنات سوريالية،بل إلى كائنات مشبعة بالغرابة والعجب واللا معقول...بل إنه بالفعل فضاء يتواجد فيه الخيالي مع الواقعي ويتقاطعان ناسجين معا رواية هذا الانسان التائه في تفاصيله..."18 فخصائص التواصل الفايسبوكي تتيح وجوها من التقنيع المتعدد،فالكاتب في هذه الرواية يخاطب أصواتا متعددة بأسماء مختلفة ،فنجد مثلا في الصفحة الواحدة أكثر من اسم:معيوفة بنت الضاوي،حدة،إلهام...قد تكون لشخص واحد يتستر خلف هويات مبهمة، وعلى مدار الرواية يحاول كل شخص اكتشاف شخصية أو هوية محاوره،وفي كل مرة تتعدد الأقنعة وتتعدد الأصوات عبر ذلك الحوار الممتد المسترسل،وإنما هذا وجه من وجوه قلق واضطراب الهوية في فضاء التواصل الفايسبوكي كما صوره الكاتب.

كما تجدر الإشارة إلى أن العنوان "عشيقة آدم" يحمل مظهرا ثقافيا واجتماعيا،وهو أن الفايسبوك صار مجالا لنشأة وترعرع مختلف العلاقات الاجتماعية، لاسيما علاقات الحب التي تختبئ وتتستر في غياباته،ليذهب المؤلف أكثر من هذا من خلال عنوانه، فبالرغم أن الرواية قصة حب بين شخصين لم يلتقيا فعليا قَطّ،إلّا أنه وسمها بمدلول العشيقة، والذي هو في الأصل دلالة على علاقة فعلية بين رجل وامرأة؛ ليوحي إلى أن هذه العلاقات سرت أطوارها عبر الفايسبوك، وجرت مجرى العلاقة الفعلية،لكأنه يشير إلى أن الفايسبوك قد يحل محل الواقع، ويستوعب مختلف العلاقات بل أخصها و أجرأها .

ثانيا : سيميائية الفضاء الفايسبوكي من خلال الغلاف :

الغلاف يمثل الواجهة الأولى للعمل الإبداعي، والعتبة الهامة التي يلج بها القارئ عالم النص، وبها يدفع القارئ إلى استكناه خبايا النص وحيثياته، إذا تخفى ما يستتر في المتن.والأعمال الإبداعية المعاصرة أصبحت تولي الغلاف عناية واهتماما خاصا قد لا يقل عن العناية بالمتن نفسه.

فغلاف رواية " عشيقة آدم " يظهر أنه صمم بدقة، إذ يتلاءم بصورة كبيرة مع مضمون المتن بل ويتمشّى معه.ولمحاولة دراسته سأقف على مكوناته وهي :

أ/ مكونات لغوية: وهي ملفوظات العنوان والكاتب ودار النشر .

ب/ مكونات بصرية: وهي مختلف الصور والأشكال والألوان.

وسأحاول قراءتها مستعينة بالتحليل السيميائي:

فغلافها ينقسم إلى قسمين، يقسمهما خط عمودي، جهة تحوي العنوان يعلوه اسم السلسلة (عيون المعاصرة)، يليها مباشرة الكاتب " منصف الوهايبي "، وأسفله دار النشر "دار الجنوب "يتوسّطها اسم مقدم العمل " صلاح الدين بوجاه " أما الجهة المقابلة فتحتوي المكونات البصرية (صورة البروفايل).

أ / المكونات اللغوية:

1 / ملفوظ العنوان:كما ذكرت سابقا هو بوابة الولوج لفهم متن النص، وهو كينونة النص على حد رأي الدكتور خالد حسين حسين فهو" الحد الفاصل بين العدم والوجود، الفناء و الامتلاء فأن يمتلك النص اسما (العنوان) هو أن يحوز كينونة، والاسم(العنوان) في هذا الحال هو علامة هذه الكينونة19 فهذه الرواية هويتها واضحة من خلال هذا العنوان الذي يبدو أن مبدعها اختاره بعناية فائقة؛ لينقل واقع العلاقات في فضاء

الفايسبوك. واختياره لم يكن اعتباطا بل لدلالات قد توقفنا على بعضها سابقا، فهذا العنوان يتماهى بشكل كبير مع مضمون المتن، ويثير دافعية لدى المتلقّي لاكتشافه.

أما الشكل الطباعي له فهو يتوسط العناصر اللغوية الأخرى ليبرز خلالها بخط واضح كبير وبلون أزرق، قد يوحي بدلالات عن فضاء هذه القصة وهو " الفايسبوك ".

2 / اسم المؤلف:أي اسم صاحب الرواية ومبدعها وهو "منصف الوهايبي" 20 شاعر وكاتب وأكاديمي تونسي،من مواليد 1949،له العديد من الإبداعات الأدبية شعرا ونثرا، توج بالعديد من الجوائز المالية على بعض أعماله كجائزة الكومار الذهبي وجائزة الشيخ زايد وغيرها، من أهم أعماله الشعرية وإبداعاته:

ديوان " ألواح 1982 "."-

- من البحر تأتي الجبال سنة 1991
- مخطوط تمبكتو سنة 1998
- ميتافيزيقا وردةالرمل سنة 2000
- فهرست الحيوان سنة 2007
- أشياء السيدة التي نسيت أن تكبر سنة 2009
- ديوان الصيد البحري سنة 2011
- نبات قوس قزح سنة 2015
-بالكأس ماقبل الأخيرة سنة2009

أما الروائية فله الرواية التي بين أيدينا "عشيقة آدم"ورواية "ليلة الإفك ".

3 / اسم مقدم العمل: "صلاح بوجاه" 21:وهو من قام بتقديم هذا العمل، وهو كاتب وأديب تونسي له العديد من المؤلفات في مجال الرواية والقصة، مثل " رواية مدونة الاعترافات سنة 1984 و"التاج والخنجر والجسد " 1991 "لون الروح 2008 " وغيرها من الأعمال ...

4 / اسم السلسلة: (عيون المعاصرة):وهذا الاسم يعلو صفحة الغلاف، وهو اسم لسلسلة كتب تصدرها دار الجنوب للنشر بتونس، وهي تُعنى بالمستجد في الساحة الإبداعية الأدبية والنقدية، كان مشرفها الأول الأستاذ " توفيق بكار " مجدد مناهج النقد وطرائقه في الجامعة التونسية22.

5 / دارالنشر:(دارالجنوب):

وهي الجهة التي تولت نشر الرواية،واسمها مثبت أسفل الغلاف،وهي دار نشر تونسية أسست في نهاية 74السبعينات على يد باعثها الراحل محمد المصمودي (رحمهالله) " الذي اختار لنفسه ولها أن يقوما في خدمة الثقافة والفكر المستنير للنشر باللغة العربية أولا ومن بعدها الفرنسية إلا ترجمة لهذا الخيار واستجابة لحاجيات القارئ التونسي ذي التكوين الثقافي المزدوج من دون التغافل عن غيره من القراء في الشرق والغرب 23"

و وضع اسم دار النشر (أسفل الواجهة) يخضع أيضا لقصدية في التصميم.

ب / المكونات البصرية:وهي مجموع الصور والأشكال والألوان وقد ظهرت على هذا الغلاف كالتالي:

1 / الصور:يمثل الجزء المقابل للمكونات اللغوية للغلاف صورة بروفايل(ملف شخصي في الفايسبوك)، فتاة لا تظهر ملامحها على الصورة المعرفة لهذا البروفايل. إذ تبدو بصورة جانبية لا يظهر منها إلا شعرها وجزء من وجهها، وأسفل هذه الصورة ترتيب عناصر هذا البروفايل :

-الملف الشخصي من معلومات، صور محددة (19) صورة وأصدقاء، وتظهر الاشتراكات (17) والمشتركين (17) وقد تكون لهذه الأرقام دلالات، فهي ليس لديها الكثير من الصور ولم يتفاعل العديد من المشتركين، إلا أن هناك شيئا لافتا للانتباه وهو عدد الأصدقاء الذي حدد بـ (1119)، ويتقدمهم " الحبيب " بطل الرواية الذي يتصدر اسمه قائمة المحادثات، يا ترى ماذا يقصد بهذا العدد الهائل من الأصدقاء!! هل لها علاقات أخرى غير علاقتها مع البطل " سي الحبيب " أم أنها شخصية معروفة أو مشهورة لها العديد من المتابعين !! كما يؤكد أن هذه الشخصية افتراضية لا وجود لها في الواقع تعيش حياتها بين جموع الأصدقاء في هذا الفضاء الافتراضي...

2 / الألوان :لا شك أن اختيار الألوان في العمل الإبداعي يخضع لمرجعيات ثقافية معينة، وحتى دلالاتها تتحدد وفقا لذلك " إذ غالبا ما تتحدد شفرات الألوان بالانتماءات الثقافية والمرجعيات الحضارية و السياقات التاريخية " 24 وسأحاول الوقوف على أهم دلالات الألوان المستعملة في غلاف هذه الرواية وهي ثلاثة ألوان محددة:الأبيض الذي مثل الخلفية، والأزرق الذي تلون به بروفايل الفايسبوك كما اشتمل عليه الغلاف، واللون الأسود إذ كتب به اسم المؤلف وعنوان السلسلة ودار النشر.

فاللون الأبيض الذي اختاره الكاتب كخلفية للغلاف له مدلولات متعددة، من جهة فهو رمز الصفاء والنقاء والود والمحبة، ومن جهة أخرى هو ملائم كخلفية يظهر من خلالها اللون الأزرق والأسود المستعملان في الكتابة بوضوح. أما اللون الأزرق فهو الآخر يحمل دلالات متعددة، لعل أهمها أنه يشير إلى فضاء سرد هذه الرواية وهو الفايسبوك، هذا الأخير الذي تصطبغ علامته باللون الأزرق الذي يميزه عن بقية وسائل التواصل الاجتماعي، كما أنه يدل على ارتباط النص بالأنترنت والفايسبوكأو ما يعرف بـ " بالفضاء الأزرق"،كما له دلالة عميقة ترتبط بشخصيات الرواية التي تسعى للولوج إلى رسم عالم مُتخيل يوحي بالتوق إلى الارتواء والهدوء العاطفي والسعادة، إنه نزوع إنسان مأزوم إلى "هدوء عاطفي وأمان وانسجام واستكفاء أو حاجة فسيولوجية للراحة والاسترخاء وفرصة للمعافاة" 25 فكلا الشخصين " سي الحبيب " و"إلهام " يتوق إلى التحرر من الحياة الواقعية ومغادرتها صوب الحياة الافتراضية التي يملؤها الحب والتعلق الشديد ببعضها،وإصرارهما على الانتماء لهذا العالم رغم كل الزيف الذي يحيط بهما. إن اللون الأزرق- كما هو معروف- يحيلنا إلى السماء والماء والبحر والزرقة والصفاء، فلهذه القصة من إيحاءات اللون الأزرق نصيب. أما اللون الأسود فقد كُتب به " عنوان السلسلة " بخط بارز واسم المؤلف ودار النشر وبعض عناصر صورة البروفايل، تكمن دلالته في جانبين:أولا:لأنه ملائم للخلفية وملائم لظهور اللون الأزرق، فقيمة اللون لا تكمن في ذاته باعتباره كائنا مستقلا قائما بنفسه، بمعزل عن الألوان الأخرى بل في تفاعله الكيمائي والدلالي مع الألوان الأخرى " 26ثانيا:فلأنه لون الاختلاف ويرمز

إلى القوة، إلا أنه في هذا الغلاف يبدو أن اختياره كان لتلاؤمه مع الخلفية وانسجامه مع اللون الأزرق الطاغي على فضاء الغلاف.

خاتمة :

من كل ما تقدم خلصت إلى النتائج التالية :

- إن رواية المبدع " منصف الوهايبي " تجربة مختلفة خاضها منطلقا من فكرة المغامرة الفنية، والانفتاح على فضاءات مستجدة في الإبداع لاسيما في كونه شاعرا قبل أن يكون كاتبا.

-تميزت هذه الرواية بتوجهها التجريبي الذي يسعى مؤلفها من خلاله إلى التأسيس لشكل سردي جديد مسايرا تطورات العصر وما يشهده من مستجدات في تقنيات التواصل والاتصال.حيث وظف خصائص المحاورة الفايسبوكية في كتابة نصه السردي إذ امتدت روايته من بدايتها إلى نهايتها عبر حوار فايسبوكي مسترسل، ليخلخل بذلك الشكل الروائي المألوف، وينتج سردا فايسبوكيا خالصا لكن على الورق.وإن كان هذا السرد الفايسبوكي المبني على الحوار المتواصل قد أضعف الحبكة القصصية للرواية،إلا أنني أستطيع القول أنه أضفى جماليات جديدةعلى بناء هذه الرواية؛كجمالية المحاورة الفايسبوكية استرسالها وآلياتها و ما تقتضيه من ارتجال وعفوية وتتابع،إضافة إلى جمالية التشظي الحكائي وعدم انتظامه وهذا ما فرضته الدردشة الفايسبوكية،و كذا جمالية أخرى هي جمالية التناص من خلال ما تتيحه الرقمية من إدراج نصوص واختراقها لمختلف الحوارات التي كانت تفتح حول مواضيع متعددة ومختلفة؛فكان نصه كله ضربا من الدردشة عبرالفايسبوك حاول نقله بخصائصه الرقمية الممكنة إلى الرواية المكتوبة ورقيا؛ لتمثل بذلك هذه الرواية إبداعا مستجدا شكلا ومضمونا.

-انطلاقا من العنوان الذي مثل العتبة النصية الأولى التي أثارت دافعية المتلقّي للتساؤل حول مضمون المتن وقد اكتنز بالعديد من الإيحاءات والدلالات الرمزية، مرورا بالغلاف الذي هو الآخر فضاء زاخر بمختلف العلامات والأيقونات التي وشت بدقة تصميمه و إبداعية اختيار مكوناته.

- هذه الرواية حافلة بالأبعاد الرمزية و الدلالات التي تغري الناقد لكشفها و سبر أغوارها، لاسيما و أنها طرح جديد في قالب مستجد يحيلنا إلى التساؤل عن التحولات الهامة التي عرفتها الرواية العربية والمغاربية،تحديدا في ظل ثورة التكنولوجيا واجتياح موجة التواصل الاجتماعي حياة الأفراد.

هوامش وإحالات المقال

[1] ينظر ميخائيل باختين، الملحمة والرواية ، تر: جمال شحيد ، محمد الإنماء العربي بيروت ،1982 ص 19

[2] صلاح فضل ، لذة التجريب الروائي ، أطلس للنشر و الإنتاج الإعلامي ، ط 1 القاهرة ، 2005 ص 3

[3] محمد الباردي ، إنشائية الخطاب في الروائيات العربية الحديثة ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق 2000 ص 242

[4] المرجع نفسه ص 242

[5] منصف الوهايبي، سؤال الشعر، مجلة الفيصل 30 أغسطس 2016 على الرابطhttps://www.alfaisalmag.com

[6] محمد الماكري ، الشكل والخطاب ، المركز الثقافي العربي بيروت ، ط 1 ، 1991 ص 253

[7] نعمان بوقرة ، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل ، عالم الكتب الحديث ، ط 1 ، 2012 ص 317

[8] محمد مفتاح ، دينامية النص ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، 1990 ، ص 72

[9] ابنمنظور، لسان العرب، مادة (ع ش ق) على الرابط https://www.almaany.com

[10] معجم المعاني الجامع على الرابط https://www.almaany.com

[11] عايدة نصرالله،إيمان يونس: التفاعل الفني الأدبي في الشعر الرقمي، قصيدة«شجرالبوغاز» نموذجا ،الينبوع،مركز أبحاث اللغة،المجتمعوالثقافةالعربية المعهد الأكاديمي العربي للتربية ،بيت بيرل .ص 87

[12] منصف الوهايبي ، عشيقة آدم ، سلسلة عيون المعاصرة ، دار الجنوب للنشر ، تونس 2012 ص 173

[13] عبد الدايم السلامي ، النص المعنف ، أن نقرأ ونحب ما نقرأ ، دار مدارك للنشر ، بيروت ، ط 1 ، 2020 ص 83

[14] المرجع نفسه ص 83/82

[15] المرجع نفسه ص 87

[16] المرجع نفسه ص 87

[17] المرجع نفسه ص 83

[18] المرجعنفسهص 87

[19] خالد حسين حسين، في نظرية العنوان ، مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية ، دار التكوين ، دمشق ط 1 ، 2007 ، ص 05

[20] منصف الوهايبي ، مصدر سابق ، صفحة الغلاف

[21] منصف الوهايبي ، مصدر سابق ، صفحة الغلاف

[22] ينظر، تقديم الدار ، موقع دار الجنوب ، 2020

[23] نفسالمصدر السابق

[24] فطيمة الزهراء بايزيد ، التشكيل الجمالي لصورة الغلاف والعنوان مجلة حوليات الأدب واللغات ، جامعة محمد بوضياف المسيلة ،ص 146

[25] المرجع نفسه ص 146

[26] المرجع نفسه ص 148